غادة السمان: الازدواجية لدى الثوريين العرب هي مأخذي الأول على بعضهم

حوار: شاكر نوري- باريس
خاص بالمدى

لا يتركك أدب غادة السمّان لا مبالياً حتى لو تقصدت ذلك ، فعلى مدى ثلاثة عقود ، وأكثر من ثلاثين كتاباً ، تمكنت الكاتبة العربية الشهيرة (غادة السمان) من رسم ملامح سيرة حياتية وأدبية حافلة واستثنائية بكل المقاييس. فقد ترجمت رواياتها إلى ١٣ لغة عالمية حية وتم تدريسها في كبريات الجامعات العالمية وتبقى روايات مثل (بيروت ٧٥) و(كوابيس بيروت) و(ليلة المليار) و(سهرة تنكرية للموتى).. وأخيراً (الرقص مع البوم) خالدة في أذهان القراء العرب وغير العرب ، خلال هذا التاريخ ، لم تتوقف الكاتبة ، الموزعة حياتياً وتجربة وغنى بين بيروت ولندن وجنيف ونيويورك وباريس ، حيث تعشق شقتها المطلة على نهر السين حامل عذابات الكتّاب والأدباء العابرين لهذه المدينة ، عن إثارة أبرز القضايا الساخنة ، في علاقة جدلية بين ذات الكاتبة وتجاربها الحياتية.

يبقى الحوار مع كاتبة من طراز غادة السمان صعباً أو محفوفاً بمخاطر التكرار، فماذا يمكن أن أطرح عليها من أسئلة بعد هذا الكم الهائل من الحوارات التي أجريت معها؟! وجدت نفسي منقاداً إلى طرح موضوع الرجل في هموم الكاتبة..

❖ هل يمكن الحديث عن والدك، وما علاقتك بالرجل أباً و(زوجاً لأمك)، وبماذا أثر فيك؟

- لم أعرف أبي زوجاً لأمي، على حد تعبيرك الواقعي، حيث لم أعرف أمي التي رحلت عن عالمنا مبكراً، شابة لما تبلغ الثلاثين من العمر، وأديبة لم تتح لها فرصة جمع سطورها في كتاب.

قيل لي إنه حين رحلت أمي، أقيم مهرجان تأبيني لها في (مدرج جامعة دمشق)، ورثاها الشاعر (الناشئ) آنذاك، قريبي نزار قباني بقصيدة موزونة مقفاة غير منشورة، كما رثاها آخرون من بينهم زكي المحاسني وغيرهم كثير ولا يزال كل من عرفها يذكرها بحب وحنين، ولكنني لسوء الحظ لم أعرفها ولا أذكر شيئاً عنها.

ومما جاء في قصيدة نزار قباني في رثائها قوله:

ويا روحها قد كنت جبارة العلا
ولكن - أيا لهفي- بجسم مضعضع
فطيري على الأكوان مثل حمامة
ومن فوق دوح في الفراديس فاسجعي
فمن بعد تلك الأم يضفر شعرها
عناقيد لفت في بنان وإصبع
ومن غيرها يهفو عليها بضمة
تكاد من التحنان تمشي بأضلع

وهكذا عرفت أبي على أنه الأم والأب في آن، وعرفت عبره قدرة الرجل العربي على الحنان حتى الأمومة، والنبل والتضحية. هذه الصلة الإنسانية النادرة بيني وبين أبي كانت لقاحاً ضد التوهم الخاطئ أن الرجل العربي هو (الجلاد) وهو المسؤول عن تعاسة المرأة وتخلفها ودونيتها في مجتمعاتنا. وما زلت حتى اليوم استمد القوة من ذكرى والدي الرائع الرقيق، وما زلت حتى على ضفاف (السين) أسمع صوته الجميل وهو ينشد على ضفاف (بردى) أغاني عبد الوهاب القديمة الشاعرية وأذكر أنه كان -رحمه الله- حليفي الأول يوم بدأت الكتابة والنشر..

❖ ما علاقتك بابنك الرجل؟

- أجمل ما حدث لي في حياتي ليس الشهرة ولا ترجمة أعمالي إلى ١٣ لغة، بل الأمومة.

لقد كانت صلتي دائمة بابني منذ طفولته حتى اليوم وقد صار أستاذاً جامعياً في واحدة من جامعات (الآيفي ليغ) (أي الجامعات الخمس الأول في الولايات المتحدة)، هذه الصلة كانت دائماً فرحة القلب ونبع غبطة وبهجة وتفاؤل. الأمومة رشوة من الطبيعة لكي نتقدم في السن سعداء بذلك، وحين أرى نضارة شباب ابني ووسامته وقامته المنتصبة كرمح وحيويته، أكاد أبارك تجاعيدي وأحتفي بها!

مرة سألتني زميلة عن رأيي في ابني فقلت لها: (ابني في عيني غزال!). فأنا أنتمي إلى فئة الأمهات الطريفا ت اللواتي يجدن أن الابن هو الأجمل والأعظم والأكثر رجولة وذكاء ونجاحاً.. ولا أكتمك أنني أحلم من زمان بأن أصير جدة.. وهي الأمنية الوحيدة التي لا أستطيع تحقيقها بنفسي! باختصار أنا معجبة بابني وفخورة به طفلاً ورجلاً.. إنه رائع حقاً!

❖ هل- بنظرك- سيبقى المجتمع العربي مجتمعاً ذكورياً والى متى يبقى الذكر مهيمناً وله مثل (حظ الأنثيين)؟

- دعنا لا نطرح الأمر في هذا الإطار النسوي (المتأمرك)، فالرجل العربي هو المسؤول عن إعالة الأسرة غالباً، وبالتالي (فللذكر مثل حظ الأنثيين) من الشقاء خارج البيت والحروب والقتل والخطف! القضية هي قضية مشاركة لا قضية هيمنة، إنها حكاية تعاون وتضامن لا حروب أجناس، وهي قضية احترام متبادل لا نكايات وكيد متبادل.

المجتمع العربي هو بالتأكيد مجتمع ذكوري ولكن لا حل سحرياً آنياً بضغطة زر أو بقانون، ولا مفر من التطور النابع من روح مجتمعاتنا وليس المستورد، بحيث تتحمل المرأة المزيد من المسؤوليات مقابل المزيد من حريات تستحقها بالتأكيد، وهي تستطيع بالتأكيد تحمل تبعات ما يترتب عليها من واجبات جديدة. نغتني بالاستنارة بتجارب الشعوب الأخرى، ولكن نقلها الحرفي الآلي الكاريكاتيري ورطة.

❖ ما مأخذك على الرجل العربي ماذا ينقصه؟ وإذا كان مقصراً، فهل بسبب أمه التي رعته؟

- الأزدواجية لدى الثوريين خاصة والذكور العرب عامة هي مأخذي الأول على بعض الرجال العرب، فحين تنجح (الثورة) مثلاً بفضل معونة المرأة تتم إعادتها إلى المطبخ لتغلي القهوة للرفاق في (المقهى الثوري) ويتولى الذكور المناصب القيادية! الأستاذ الجامعي يحاضر عن تحرر المرأة في المنتدى الفكري ثم يضرب زوجته حين يعود إلى البيت لأنها غادرته دونما استئذان. ثم إن الازدواجية تطال سلوكه حين يتعامل مع المرأة الغريبة.. والعربية أيضاً حين يطالبها بالمستحيل.. فهو يريدها مجربة ولكن بلا تجربة، أي يطلب منها التحليق مثله، بينما يداها مقيدتان بكل المفاهيم العتيقة.. المطلوب إطلاق سراح طاقات المرأة كي تعمل وتتعلم وتستقل وتخطئ أيضاً، والمطلوب إقامة حوار علني حول هذه الأمور للاحتفاظ بما هو إنساني من تقاليدنا، وتجاوز ما يشتت قدرتنا على العطاء.. المطلوب تثقيف الطفل العربي على نحو آخر وتطوير المناهج المدرسية للمساهمة في خلق فرد عربي غير مصاب بازدواج الشخصية وعقدة العظمة والاضطهاد في آن معاً، أي بالشيزوفرينيا والبارانويا والنوستالجيا أيضاً (الحنين لماض غابر مضى). أما عن (رعاية) المرأة طفلها فتتم حالياً على هدى التعاليم الذكورية للمجتمع والذنب ليس ذنب الأب، بل النظرة الاجتماعية العامة المحنطة المقصرة عن التطور مع ضرورات العصر شئنا أم أبينا، ومَن يرفض ذلك التطور ينقرض كأي ديناصور آخر.

❖ كانت العرب قبل الإسلام وإلى ما بعده تنسب الرجل إلى أمه.. عمرو بن هند وعمرو بن كلثوم.. وهكذا، هل حصل شيء ما حتى انقلب الأمر بحيث تراجعت المرأة العربية؟

- نسب الرجل إلى أمه له أسباب أخرى غير عز المرأة (الموهوم) في الجاهلية، حين كان وأد البنات شائعاً! أفضّل أن ينتسب الطفل إلى أبويه، ولا يتنصل من رعايته الأم والأب معاً.

من طرفي لا أعتقد أن وضع المرأة في الجاهلية كان أفضل من وضعها في الإسلام بل العكس هو الصحيح- بما لا يقاس- في نظري. المجتمع (الأمومي) المفترض وهم لا نستطيع إثبات تحققه تاريخياً وجميع المجتمعات التاريخية ذكورية، والعرب لم يشذوا عن هذه القاعدة لا قبل الإسلام ولا بعده، وإن كان الإسلام قد رفع من شأن المرأة قياساً بما سبقه وما عاصره أيضاً، وليس ثمة ما يدعى بـ(عصر ذهبي) للمرأة في أي مجتمع وذلك أصلاً ليس هو المطلوب في نظر نسوة معتدلات مثلي... أكره الحرب بين الجنسين ولا أرى أن من مصلحة المجتمع أن يسود أحدهما.

بالمقابل، لا نستطيع القول إن وضع المرأة العربية لم يتحسن عما كان عليه في ماضينا القريب، والشواهد على ذلك ساطعة وثمة اتجاه عام بطيء لكنه مستمر نحو الاعتراف بإنسانية المرأة.. وصحيح أن مجتمعاتنا العربية ليست في طليعة هذه المجتمعات المتطورة لكننا كنساء عربيات نحاول ونصبر وننجح أحياناً في إثبات أننا ننتمي إلى الجنس البشري!! وما أكثر المشككين في ذلك! في وجهة نظري، الحرب بين الرجل العربي والمرأة، حرب على الحياة والمستقبل.

❖ هل يعتبر التمرد على الرجل إحدى دعائم أدبك؟

- أدبي ليس تمرداً على الرجل بل تمردٌ معه ضد ممارسات وطقوس بعضها متوارث ويزيدنا إذعاناً في زمن الانحطاط العربي. في أدبي تجد تمرد الإنسان العربي، رجلاً وامرأة، ولأن المرأة تتعرض لاضطهاد مركب فإنني أسلط بقعة الضوء عليها كثيراً.

وإليك هذه الشهادة من أستاذ جامعي غربي لا يعرفني لكنه طالع أعمالي المترجمة، وكتاباً صدر عني بالإنجليزية، هو البروفيسور جيمس كريتزك إذ يقول:

(امرأة عربية هائلة الموهبة تكتب بلا خوف عن جذور وتشعبات القضايا العربية لا مجرد كتابات نسائية (وومنزليب) . بالإنكليزية - سطحية كما نعرف الأدب النسائي في الغرب.

إن قدرة السمان على رصد تشابك الأسباب بعيداً عن هستيريا أحادية النظرة هي ظاهرة).

هذه الشحنة في روح أعمالي التقطها ذات يوم الناقد المرحوم د. غالي شكري، وأظن أن إعادة قراءة أعمالي لا مفر منها لمن يريد إطلاق الأحكام عليها، فنحن لا نستطيع وضع نتاج (لابسات التنورة) في سلة واحدة، تماماً كما لا نستطيع وضع أعمال نجيب محفوظ وأي ذكر آخر في سلة واحدة لمجرد أنهما من فئة الذكور!

❖ ما أهم التجارب التي جعلتك تكتبين بهذا الشكل المثير؟

- هل أكتب حقاً بشكل مثير؟ هل قول الصدق مثير في مجتمعاتنا مثل تفجير قنبلة في سوق الحواة والمهرجين في استعراض السيرك العربي الكبير؟

هل أضحى قول الصدق فعل إثارة يسبب هياج القبيلة؟ ومن قال إن شهادة الصدق صناعة ذكورية!

❖ مَن مِن الكاتبات اللواتي تأثرت بهن سواء في داخل الوطن العربي أم خارجه؟

- تأثرت بعدد كبير من الأدباء الذكور والأديبات، ولا أميز حقاً بين إبداع المرأة والرجل فليست للأدب أعضاء أنوثة وذكورة لأنه صوت الإنسان، والمرأة نصف الإنسانية لا النصف (الناعم) أو (الضعيف) أو غيرها من التسميات الآنية المرحلية.

من الكاتبات النساء تأثرت مثلاً بالشاعرة الكبيرة فدوى طوقان التي أهدت مرة كتابها (وحدي مع الأيام) إلى والدي فأعطاه لي وكنت بنتاً صغيرة ووحيدة، ووجدت فيه صدى قلبي، وحتى اليوم مازلت أردد قولها فيه:

هناك على شاطئ كم حواك
وكم ضم من ذكريات هواك
تململ قلبي فوق الرمال
يعانق ذراتها في ابتهال
ويلثم فيها رسوم خطاك

وبعد ذلك بأعوام طوال، كم شعرت بالفخر يوم تكرمت فدوى طوقان بإهدائي قصيدة في ديوانها (تموز والشيء الآخر) - صفحة ٢٧- دار الشروق!

وكم شعرت بالحسرة لأنها رحلت قبل أن نلتقي!

أما من الكاتبات الغربيات فقد لفتني مثلاً أسلوب فرجينيا وولف الطليعي-يومها- في كتابة الرواية وكنت طالبة ماجستير في الجامعة الأمريكية في بيروت.

لم أتأثر فقط، بل تفاعلت مع خبراتهم، وتعلمت من عطائهم من دون أن أخلع جلدي الخاص بي وحدي.

❖ باريس.. ولندن.. وبيروت.. هل هي المدن التي تحولت إلى ذاكرة للكتابة؟

- دمشق أولاً مدينتي الأم ومسقط قلبي..؟ تزوج الحنان من الحجر.
فولدت بيوتاً تنحني على أهلها كرحم.
في أزقة متلاصقة الشفاه..
والذهب الضوئي يسيل من قباب الجامع الأموي و(ستي زينب) ومن جرس كنيسة القديس بولس وآثار أقدامه حتى روما.
لا تشهري علي سيف الذكريات يا دمشق..
أمطار أوروبا على مدى عصور لن تمحو بصماتك عن أسوار قلبي..
وعبثاً يركض الثلج بممحاته المتوحشة فوق سطور أيامنا.

دمشق ليست ذاكرة للكتابة فحسب كما في روايتي (فسيفساء دمشقية)، بل إنها أيضاً قلب العروبة والصمود والشجاعة والاستمرارية، كما بيروت قلب الحرية العربية، وسخاء العطاء لكل من يقرع بابها.

بيروت ألهمتني رباعيتي الروائية: بيروت ٧٥ (النبوءة)-كوابيس بيروت (التحقق)- ليلة المليار (كوابيس الغربة)-سهرة تنكرية للموتى (صرخة إنذار).

باريس، لندن، جنيف، نيويورك، وسواها من المدن التي عاشرتها طويلاً أو قليلاً تجدها تسبح في الدورة الدموية لأبجديتي فالكاتب لا يستطيع أن يخلع عنه مدناً عايشها كما يخلع معطفه.

❖ هل يمكن أن تعيش الكاتبة بمعزل عن هموم الرجل؟

- ما من كاتبة - حتى الرديئة- يمكن أن يخطر ببالها أن تعيش أو تكتب بمعزل عن هموم الرجل والوطن والإنسانية.. فالهموم جديلة من عشرات العناصر، وما من فن يصير شجرة سنديان من دون أن يمد جذوره في تربتها.

❖ ما أعمالك التي يظهر فيها الرجل بشكل متميز؟

- في أعمالي كلها يظهر الرجل / الإنسان بشكل متميز. وأخص بالذكر قصصي ورواياتي بعد ٥ حزيران ١٩٧٦،

فهزيمتنا العربية المروعة (التي سماها البعض نكسة!) انتقلت بي من مرحلة الكتابة على إيقاع (عيناك قدري) كتابي الأول إلى صرخة (رحيل المرافئ القديمة) وهو كتابي الثالث، والأول بعد الهزيمة. حسناً، أعترف بمراحل مررت فيها، ولكنها ليست حقاً نقاط انعطاف وانقطاعاً حاداً بل نقاط تطور متسارع.. تجسدت في (بيروت٧٥) وما بعدها. وعلى وجه الدقة، ليس (الرجل الذكر) هو الذي يظهر في أعمالي وحده، بل (الإنسان) أيضاً وصلته بالمرأة والوطن على شاشة شبكة عنكبوتية من العلاقة الديناميكية بالآخر والتاريخ والمستقبل.

أحاول أن يحلق أدبي فوق أرض المرأة والرجل إلى أرض الإنسان.. فالمهم أن يتميز (الأدب) قبل أن يتميز (الذكر) أو (الأنثى)، كل بمفرده.

❖ ما الأشكال التي يتمحور حولها أبطالك الرجال؟

- أبطالي الرجال كبطلاتي النساء.. وكالبشر جميعاً.. عجينة من الخير والشر.. لا أبيض عندي ولا أسود، بل تدرجات اللون الرمادي في الروح. أحاول أن يشبه أبطالي الرجال صورتهم في مرآة الحياة اليومية.. لا في مرآة الخيالات الموروثة الفولكلورية (الحريمية) الرومانسية، وحين أكتب أتعاطف حتى مع الأوغاد منهم، فالبشر المساكين يردون على التعامل الوغد للحياة معهم بـ (وغدنة) مماثلة! يتغلب الواقع عندي على الموروث النسائي المحلي الأسطوري عن ذكور يركبون الحصان الأبيض ويهرعون بقوى خرافية لإنقاذ السيدات، وأرى ذكور كوكبنا مثلي.. يكدحون ويتألمون، والتعب يغلبهم أحياناً كما الحيرة، كما الإصرار العربي التاريخي على الاستمرارية رغم كل شيء.. وهكذا أرسمهم.

بمناسبة الذكرى الخامسة لرحيل الفنان محسن الشيخ

(الفكر الناطق في الفن الصامت)

د.حسين علي هارف

تلك كانت الرسالة الجميلة والبليغة المرفقة مع نص مسرحية (محاولة القبض على الصدفة) حين اهداه لي صديقي الودود الرائع محسن الشيخ خادم المسرح كما لقب نفسه متفاخراً ومزهواً بالمسرح الذي كان يسكنه ويسكن فيه وقد بقى وفيا له ولاساتذته ولزملائه. وها هو يهدي المسرحية المذكورة كما يرد في دليل المسرحية إلى الرجل الذي علمه المسرح فنقرأ في الاهداء:

إلى الرجل الطيب الفنان الذي علمني كيف امشي على خشبة المسرح استاذي عبد الله جواد.

وقد كانت تلك المسرحية (محاولة القبض على الصدفة) التي كتبها واخرجها الفنان محسن الشيخ محاولة حقيقية للقبض على المسرح الحقيقي والجاد والصادق. كانت حقاً علامة مهمة لا في تاريخ محسن الشيخ كونه فناناً مسرحياً صادقاً ومخلصاً ودؤوباً بل في تاريخ المسرح العراقي الاصيل لا لانها فازت بجائزة النقاد في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي الثاني عام ١٩٨٩ بل لانها شكلت رؤية جديدة في فن البانتومايم وتجربة رصينة ومهمة وناضجة فيه.

يقول (محسن الشيخ) ان (الكلمات ليست كل شيء ولا تقول كل شيء هناك معنى يكتمل بالحركة بالضوء بالموسيقى ومؤثرها وبالتشكيل الجسدي وبالايماء وبالتعامل مع قطعة ما من الاكسسوار من دون النزول إلى الترجمة الحرفية للكلمات. هناك الكثير من الحقائق تقررها الاشارات والاوضاع والنظرات ولحظات الصمت سعياً إلى تصوير المناخ الداخلي للحدث.

وتأسيساً على ما تقدم كتب الراحل محسن الشيخ صوفي المسرح كما هو الراحل حامد خضر (رحمهما الله) نقول كتب الشيخ رؤياه المسرحية الصامتة- لكنها الناطقة بالكثير الكثير (الكثير من الاحزان والكثير من الارادة والكثير من الاستقرار والكثير من المشاكسة والتحريض مع الكثير من التنبؤ حين تطالعنا السطور الاخيرة لـ(محاولة القبض على الصدفة) بما يأتي:

(يأتي يوم على امتي بحيث يصعب ان ترى كفيك من دون جريمة يأتي يوم على امتي بحيث يصبح الانسان فيه ارخص الاشياء واقلها اعتبارا).

كاتب الرؤيا محسن الشيخ عبد الكريم

وها قد رحل محسن الشيخ بعد ان قدم رؤياه وقال نبوءته ليترك لنا مسؤولية صياغة رؤياه والبحث في اوراقه وكلماته ونبوءته وليترك فينا ذكراه الطيبة المقترنة بابتسامته الواسعة المشرقة التي لم تكن تكشف عن اسنانه البيض وحسب بل عن قلبه ناصع البياض.

رحل محسن الشيخ من دون ان يشهد سقوط الطاغية ومن دون ان يشاركنا سماع ازيز الطائرات والمزنجرات واصوات الانفجارات والقنابل التي كان يمكن ان يستخدمها كمؤثرات صوتية لعروضه التي كان سيقدمها لو كان معنا الان. رحل محسن الشيخ من دون ان يشهد عرس العراق (الدامي) من دون ان ينعم بـ(حرية) ملوثة بالدم والارهاب والاحتلال.

فهلا تعلمنا من محسن الشيخ الذي نعرفه جميعاً الحب والمودة والوفاء والوطنية (الحقة) والنقية من شوائب الايديولوجيات الزائفة.. وهلا تركنا البغضاء والاحقاد والمزايدات جانباً لنحب بعضنا ولنشد من ازر بعضنا.. وهلا هممنا على اعمار منتدى المسرح واحيائه.. وهلا جلسنا في منتدى المسرح ننتظر محسن الشيخ لعله يأتي ذات عرض مسرحي.

نحن ندري اننا حين نموت لا نعود
لم يعد يوماً من الموت احد
رغم هذا فالبذور ليست تفنى
حين تدفن
ربما الانسان ايضاً ليس يفنى
حين يدفن
ولهذا قد يعود.... ذات يوم

الاخ العزيز الفنان حسين علي هارف

ايها المسرحي المشتغل باليقظة.
اعرف ان المسرح عندك هموم. وانه التعب اللذيذ. لكنك ستلتقط صورة فوتوغرافية مع التعب.
ان المسرح يا صديقي مهما يكن فانه بحث في اللاجدوى. ان ما نقدمه من اعمال هو صورة طبق الاصل من هواجسنا الداخلية المتناقضة مع ما يحيط بنا من ارتباك دنيوي. ومع ذلك نبتسم ونقطع الزهور.
لك ايها العزيز وافر التقدير في انجاز مهماتك المستقبلية في الحصول على (الدال) ولك الموفقية.

اخوكم خادم المسرح
محسن الشيخ
١٩٩٥/١٠/٧

أرمم نهاري بشيء من شمسك

جمعة الحلفي

فالكتابة تأريخ لشيء وما يحضرني يشبه الغناء او البكاء.. راودتني فكرة ان ارسم شيئاً على الورقة، شيء يشبه الحلم او الوردة، او على نحو ما يرسمه العشاق الصغار عادة. قلبان يخترقهما سهم كيوبيد! لكنني عدلت عن الفكرة خشية ان أبدو ساذجاً في هذا الزمن الرصين!

قلت لنفسي لأكتب شيئاً مثل الشعر، فالمقاربة بينك وبين الشعر هي المقاربة بين بنفسجة صغيرة وضوعها. و بين اللون والاحساس به.

انا لا اكتب الشعر انما انا وسيط حسب، بين الشعر وبينك، او بينك وبين الشعر، فأنتما، معاً، تثيران حزني وفرحي. الشعر يستدعيك في وانت تستدعين في الشعر. انت الاول. اول الغناء واول البكاء، اول الحزن واول الفرح.

أنت اول الالوان وآخرها وبدونك انا قابل للكسر مثل مشبك الشعر.

تقلقني كثيراً تلك المسرة الاليفة، التي يحدثها وجودك، انها تشبه القشعريرة اللذيذة، التي تحدثها القبلة خلف الإذن.. او تحت النهد أو... انت تدرين كم يحرجني الكلام، الكلام عنك او عن البحر فكلاكما يفيض علي، يغرقني في الرذاذ والزرقة.

أنا لا أقلب الكلام هنا وانما ابحث فيه عنك، عن سمار اللغة او عذوبتها، عن حياء الحروف، ولكن أي حياء لا يجارى ذلك الذي يمكنني ان اجده هنا، في اللغة، انه خارج اللغة، هناك خارج الكلمات، انه ما يتجسد في صيغة ألم او حنين، او ما يتشكل على هيئة زهرة، او مايرى على نحو لون، فمن اين للغة مثل هذا البهاء؟

هل بوسعي ان أرسم الهواء... سألت نفسي؟ يمكنني ان ارسم نجمة لكنها لن تضيء ابداً، هكذا هو الامر الآن. اشعر احياناً وكأننا بحاجة إلى ان نتعلم لغة اخرى غير هذه التي نتداولها، لغة لها طعم مثلما للقبلة، ولها عطر مثلما للبنفسج او النرجس، ولها ضوء مثلما للنهار البسيط الاليف، الذي ينهض قبلنا بقليل. لغة لا تخذلني حين تأتي الكآبة بل تنهض قبلي لتفتح كي نخرج معاً نحو الضوء.

هل تدرين من أين قادم أنا؟ انا قادم من حطام الشعر وحده كان نديمي ومبدد وحدتي وتعبي، كنت امسك بمعول الشعر واهدم به صمتي. كان سلاحي الوحيد في معركة غير متكافئة مع الايام، وأيامي ملأى بالصدأ والرماد. نهاري الوحيد كان خليطاً من سديم وعتمة. كنت ادفع الايام مثلما يدفع عتل منهك عربة ثقيلة. حطام كان ورائي وحطام كان على جانبي، أكوام من السنين خلفتها فوق بعضها مثل خرق بالية، وها انذا الان ارمم نهاري بشيء من شمسك فأزداد عطراً وضوءاً وضوعاً فيا لهذا الشفاء العظيم.

تنويه

سقط سهواً اسم الباحث (سيار كوكب الجميل) صاحب مادة لا يحس بنعمة التفكيك إلا المبدعون في عالم البناء المنشورة في موقع إيلاف. نعتذر للأستاذ الباحث وللقراء الكرام.